

كلمة الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، في الجلسة العامة للبرلمان الأوروبي بعد مرور عام على هجمات حماس*

٢٠٢٤/١٠/١٠

كلمة الافتتاح

السيدة الرئيسة، سيداتي وسادتي،

أتوقع أن أتحدث [في هذا النقاش] ليس فقط بصفتي نائب رئيس المفوضية [الأوروبية]، بل وأيضاً بصفتي الممثل الأعلى للشؤون الخارجية، والذي أعتقد أنه كان ينبغي لكم أيضاً دعوته إلى هذا النقاش [السياسة الخارجية]، لأن هذه في الأساس قضية تتعلق بالسياسة الخارجية. لقد سبق لرئيس البرلمان أن قال هذا من قبل - قبل يومين من هجوم السابع من أكتوبر/تشرين الأول، كنت في كيبف، بجوار الوادي - الشهير للأسف - بابي يار، لحضور قداس ديني في الكنيس الصغير، الذي يقع هناك، فوق الوادي، حيث دفن نحو ٣٥ ألف يهودي قضاوا على أيدي النازيين أثناء الحرب العالمية الثانية.

بعد يومين استيقظت على إعلان من خلية الأزمة الخاصة بدائرتي أن الكيبوتس على حدود غزة يتعرض للهجوم، فيما كان بلا شك أعظم مأساة لدولة إسرائيل وللشعب اليهودي منذ المحرقة - التي كان لها في ذلك الوادي في كيبف أحد أكثر تجلياتها قسوة. لقد بدالي دائماً أن معاداة السامية هي أكثر اختراعات البشر انحرافاً - أن يزعم شخص ما أن شخصاً ما يستحق الموت لأنه ينتمي إلى مجموعة عرقية معينة. إن هذه الكراهية متجذرة في التاريخ، تجاه شعب عانى كثيراً. يبدو لي أن هذا أحد أسوأ الانحرافات التي كان البشر قادرين على ارتكابها؛ لذلك، يستحق الشعب اليهودي الكثير من التعويض.

لن أكرر ما قاله الرئيس، لأنكم تريدون مني أن أتحدث عما حدث في العام الماضي. ليس فقط ما حدث في السابع من أكتوبر - والذي نعرفه جيداً وقد أدناه وأدناه ألف مرة - ولكن ما حدث بعد ذلك، حتى اليوم.

من وجهة نظر شعب إسرائيل، سأقتبس كلام وزير الدفاع السابق السيد [بيني] غانتس، الذي يقول في مقال له إنه لم يكن هناك ١٢٠٠ قتيل و٢٥٠ رهينة فحسب؛ بل إن ١٠٠ لا يزالون في الأسر. وبعد ذلك مباشرة، جاءت هجمات حزب الله في لبنان، في شمال إسرائيل، والتي أجبرت ٧٠ ألف إسرائيلي على مغادرة منازلهم، وخلفت ٤٧ قتيلاً. ثم الهجمات الإيرانية - أولاً في الثالث عشر من أبريل/نيسان ثم في الأول من أكتوبر/تشرين الأول، والتي دفعت سبعة ملايين إسرائيلي إلى الفرار من منازلهم والاحتماء في الملاجئ. هذا ما حدث، من وجهة نظر إسرائيل. لقد أدنا منذ البداية تلك

* المصدر: مكتب ممثل الاتحاد الأوروبي (الضفة الغربية وقطاع غزة، الأونروا)

الهجمات الإرهابية، ووقفنا إلى جانب عائلات الرهائن، كما التقيت بهم بنفسى أربع مرات، ثلاث مرات في تل أبيب ومؤخراً في نيويورك. إن إطلاق سراح الرهائن هو بالتأكيد شرط غير مشروط، وهذا ما قلناه منذ البداية، دون أي شروط وعلى الفور.

من الصحيح أيضاً أن هذه التجربة المأساوية توضح أن شعب إسرائيل لا يستطيع أن ينظر إلى مستقبله ما لم يكن على يقين من أن السابع من أكتوبر لن يتكرر أبداً.

وكما قلت، لقد أدنا منذ البداية هذه الهجمات. كما أدنا أيضاً موجة معاداة السامية برمتها التي حدثت. ولا ينبغي لنا أن نستخف بكلمة "معاداة السامية". وكما يجب أن نرفض معاداة السامية تماماً، لأنه لا ينبغي أبداً تحميل أي يهودي مسؤولية قرارات الحكومة الإسرائيلية، لا يجوز أيضاً أن تلقى هذه الكلمة باستخفاف على أولئك منا الذين ينتقدون قرارات تلك الحكومة.

إن أي حكومة لها كل الحق في الدفاع عن شعبها، ولكن الحق في الدفاع عن النفس، الذي تتمتع به أي حكومة في مواجهة أي هجوم، له حدوده أيضاً. ولكن من المؤسف أننا اليوم، حين نتحدث عما حدث منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول، لا نستطيع أن نتجاهل المآسي والأهوال الأخرى التي وقعت. ومن المؤسف أن احتمالات وقف إطلاق النار اليوم تبدو وكأنها اختفت. ولعل السبب في ذلك هو أن "اليوم التالي"، الذي تحدثنا عنه كثيراً، ليس يوم السلام، بل "يوم توسع" الحرب في المنطقة بأسرها، والتي تؤثر على لبنان، وهو ما سنتحدث عنه غداً في مناقشة أخرى عقدتموها. في الحرب لا يوجد ضحايا طبيون ولا أشرار، بل هناك ضحايا مدنيون فقط. ضحايا مدنيون، سواء كانوا إسرائيليين أو فلسطينيين. وكل الضحايا متساوون. وكما نحزن على مصير أولئك الذين قتلوا بوحشية في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، يتعين علينا أيضاً أن نفكر فيما حدث، وما يحدث في غزة، حيث مات أكثر من ٤٠ ألف فلسطيني تحت القنابل أو بسبب المرض أو بسبب الظروف المأساوية التي يعيش فيها هؤلاء السكان، وجرح ٩٧ ألف فلسطيني آخر، وفقاً لأحدث الأرقام الصادرة عن وزارة الصحة في غزة في السادس من أكتوبر/تشرين الأول. وكما أقول لكم، لا يوجد ضحايا طبيون ولا أشرار، بل هناك ضحايا مدنيون فقط، ضحايا أبرياء، هم ضحايا جانبين للحرب.

ومن المؤسف أن الأطفال هم الضحايا الأكثر شيوعاً للحرب في غزة. ولن أقدم لكم المزيد من التفاصيل عما تعرفونه بالفعل. ومن المؤسف أن المساعدات الإنسانية اليوم في أدنى مستوياتها. ولم يتم رصد سوى ١٧ شاحنة يومياً تعبر معبر كرم أبو سالم و٦ شاحنات عبر معبر شكيم.

نعم، هناك مشكلة إنسانية خطيرة أخرى هناك، مشكلة إنسانية استحققت أيضاً مساعدات مهمة جداً من الاتحاد الأوروبي. نحن المزود الرئيسي للمساعدات، بأكثر من ٣٣٠ مليون يورو في عامي ٢٠٢٣ و٢٠٢٤. [لدينا أكثر من ٦٠ رحلة جوية من جسرنا الجوي الإنساني، بعد أن قمنا بتنشيط وحدة الحماية المدنية لدينا أكثر من ١٠ مرات منذ ٧ أكتوبر. جنباً إلى جنب مع الدول الأعضاء، نحن أكبر المانحين للمساعدات الإنسانية إلى غزة. ومع ذلك، لم تعد المشكلة اليوم مجرد استمرار الحرب، والمساعدات الإنسانية التي يمكن تقديمها، بل الافتقار إلى المنظور السياسي.

ولأن لدي وقتاً قصيراً، دعوني أركز على هذه المشكلة: الافتقار إلى المنظور السياسي لحل هذا الصراع. من ناحية، هناك حق إسرائيلي في الدفاع؛ ومن ناحية أخرى، هناك حدود لهذا الحق، [الناجمة] عن العواقب الإنسانية لممارسته؛ ومن ناحية أخرى، هناك مساعدات إنسانية لضحايا الحرب؛ ومن ناحية أخرى، هناك الحل السياسي للصراع؛ إننا نواجه اليوم تحديات كبيرة، ولكن هناك تحديات أخرى. فمن ناحية، هناك تحديات أخرى تتعلق بمنع انتشار الحرب إلى المنطقة ككل. وهذه هي المحاور الخمسة، أو الرؤوس الخمسة للمضلع الذي تتحرك السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي في إطاره، ولكن ليس دائماً بوحدة كبيرة بين الدول الأعضاء، لأن هناك، كما تعلمون، مواقف مختلفة في كل من هذه الرؤوس الخمسة.

سنتحدث عن لبنان غداً، ولكن دعوني أخبركم اليوم أن الآفاق السياسية التي وعدنا بها كثيراً لحل الصراع الذي يدمر مرة أخرى هذه الأرض المقدسة؛ تلك المنطقة الضيقة من الأرض التي قاتلت فيها الديانات التوحيدية الثلاث بشراسة، والتي يتنازع عليها الآن شعبان لسنوات عديدة، يبدو أن هذا المنظور السياسي قد اختفى في خضم المأساة التي نعيشها. لم يحدث من قبل أن دارت مثل هذه المناقشات حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ولكن ربما لم يحدث من قبل مع مثل هذه الآفاق الضئيلة لحل سياسي.

إن المأساة هي أننا جميعاً نعرف جيداً ما هي المعايير التي ينبغي أن نعتمدها لحل هذا الصراع. لقد أعلن المجتمع الدولي مراراً وتكراراً عن رغبته في بناء دولة لكل من الشعبين؛ أحد الشعبين له دولة قوية وديمقراطية تتمتع بقدرات عسكرية واقتصادية هائلة. أما الأخرى فلا وجود لها، ويعتزم المجتمع الدولي بناء هذه الدولة. ولكن المأساة هنا هي أن هذا الحل؛ الحل الوحيد الذي نعرفه لمحاولة بناء السلام، لا يحظى بدعم أحد أهم الأطراف في المشكلة، ألا وهو الحكومة الإسرائيلية الحالية. والمأساة هنا هي أن أوروبا غائبة تماماً عن هذا الصراع، وربما يرجع هذا إلى انقسامنا نحن، الدول الأعضاء التي تملي علينا السياسة الخارجية، إلى حد كبير. فنحن المانح الرئيسي للسلطة الفلسطينية، ونحن المانح الأول للمساعدات الإنسانية إلى غزة. ولكن عندما يحين وقت التصويت في الأمم المتحدة، يصوت بعضنا لصالحه، ويصوت بعضنا ضده، ويمتنع بعضنا عن التصويت، في كل تصويت تقريباً. ونحن لا ندرك بنفس الطريقة مدى الرعب الذي يحدث في غزة أو في الضفة الغربية. نحن لا ننظر إلى الأمر بالطريقة نفسها، على الرغم من أننا نحن الأوروبيين كنا من اخترع الدولتين في ١٩٨٠، أي قبل ٤٤ عاماً، في إعلان البندقية، المستوحى من الرئيس [فاليري] جيسكار ديستان [الرئيس السابق للجمهورية الفرنسية].

إن المأساة هي أننا جميعاً نقول إن هناك الكثير من القتلى، لكن القتلى يستمرون في التزايد. ولهذا السبب من المهم جداً اتخاذ مواقف مثل الموقف الذي اتخذته مؤخراً رئيس الجمهورية الفرنسية [إيمانويل ماكرون]، والذي يخضع لنقاش واسع النطاق.

ولهذا السبب من المهم أيضاً الإشارة إلى أهمية ما تفعله الأونروا [وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى]؛ بالمناسبة، صوت البرلمان الإسرائيلي

هذه الأيام على إعلانها منظمة إرهابية وإبعادها عن أي شكل من أشكال المشاركة في مساعدة الشعب الفلسطيني الذي يعيش في غزة أو الضفة الغربية. وسوف يتعين على البرلمان الأوروبي أيضاً مناقشة هذه القضية ومقدار المساعدة التي يعتقدون أننا يجب أن نقدمها للأونروا من ميزانية الاتحاد الأوروبي.

وأخيراً، أعتقد أنه يتعين علينا بذل جهد كبير للحوار بين المجتمعين المدنيين في إسرائيل وفلسطين.

أعلم أن هذا قد يبدو سخيلاً وغريباً، في وقت يهيمن فيه الحقد والكراهية على أي شعور آخر. قد يبدو من الوهم أن نتصور أنه بعد كل هذا القدر من المواجهة، وكل هذا القدر من الألم وكل هذا القدر من الكراهية، يمكننا أن نحاول بناء الجسور بين هذين الشعبين. لقد حاولنا، وعقدنا ثلاث اجتماعات بين أحدهما والآخر، وفي السابع والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول سنفعل ذلك مرة أخرى في برشلونة، على هامش الاتحاد من أجل المتوسط.

أعتقد أنه يتعين علينا أن نعطي الأمل في السلام. نعم، قد تبدو هذه الكلمات غريبة أو سخيفة لبعض الناس في ظل الظروف الحالية، ولكنني أعتقد أن هذه هي مسؤولية أوروبا: أن تعطي الأمل في السلام، الذي لا يمكن أن يأتي إلا من الحوار والاتفاق.

يتعين علينا أن ننتقل من الرفض المتبادل إلى الاعتراف المتبادل. دعوني أقف عند هذه العبارة: من الرفض المتبادل إلى الاعتراف المتبادل.

إذا كان هناك من يعتقد أن هذا غير ممكن، فإنه ملزم بالتوصل إلى حل آخر، وإذا كان هذا الحل غير ممكن، فما هو الحل إذن؟ لأنه لا بد من وجود حل ما، إذا كنا لا نريد أن نستمر، جيلاً بعد جيل، وجنازة بعد جنازة، في مشاهدة مأساة هذه الأرض المقدسة البائسة في كثير من الأحيان. شكراً جزيلاً.

الكلمة الختامية

شكراً جزيلاً لك، سيدتي الرئيسة. شكراً جزيلاً لكم، سيداتي وسادتي، على هذا النقاش، الذي أظهر مدى مرارة واختلاف المواقف.

كما كنت أقول، أن إحدى المآسي التي نمر بها اليوم في هذا الصراع هي الافتقار التام إلى التعاطف مع آلام الآخر. آلام الآخر؛ آلامك كبيرة لدرجة أنك لا تعترف بألم الآخر. لقد أصبح الإسرائيلي يهودياً، وأصبح الفلسطيني عربياً. يتم تبادل الألقاب "معادي للمسلمين" و"معادي للسامية" من جانب وآخر، بضراوة تامة.

لاحظ؛ هنا حيث نحن هنا، لم يُقتل أحد من عائلتنا، ولم يُدمر منزلنا، ولم نفقد أصدقاءنا، وعائلتنا، ولم نتورط في دوامة العنف، نحن ببساطة نراقبها. إذا كان من الصعب هنا بذل الجهد لفهم مواقف بعضنا البعض، فتصوروا كيف يمكن أن يكون الحال في الشرق الأوسط، حيث سالت الكثير من الدماء ونشأت الكثير من الكراهية. من جانب ومن الجانب الآخر. في دوامة العنف هذه.

وكما هو الحال في كل الدوامات، إذا لم نوقفها، فإنها ستستمر إلى ما لا نهاية. وإذا لم نكن قادرين هنا على بذل الجهد لفهم ما يحدث وأسباب الآخر، فكيف نستطيع أن نرى ذلك من الجانب الآخر؟ إنني أوصي بقراءة كتاب رائع بعنوان "رؤية الآخر"، حيث يعلق كتاب إسرائيليون وفلسطينيون على كل لحظة تاريخية أوصلتنا منذ عام ١٩٤٨ إلى هذه النقطة. وإذا كان هناك هذا الافتقار التام إلى التعاطف بين الناس الذين ينعمون بالفاهية ولم يعانون من أي عواقب للصراع، فكيف يمكننا أن نتوقع أن يكون هناك تعاطف من الجانب الآخر؟

ولكن مهمتنا هي محاولة إعطاء الأمل بالسلام. دعوني أكرر: أعطوا الأمل بالسلام. لا، أنا لا أستغل عنوان أغنية قديمة لفرقة البيتلز، بل أقول ببساطة إن هذا هو جوهر الأمر: السعي إلى السلام حيث لا يوجد سوى الكراهية؛ وبناء الروابط بين شعبين يقا تلان منذ مائة عام من أجل نفس الأرض ولا يمكن أي حل آخر سوى تقاسمها؛ والانتقال من الإنكار المتبادل إلى الاعتراف المتبادل. ولن نتمكن من بناء السلام بالمواقف التي سمعتها هنا اليوم. وأطلب منا جميعاً أن نبذل الجهود لمحاولة فتح باب الأمل في السلام.

وأكثر من ذلك، سألني أحدهم عما فعلته قبل السابع من أكتوبر. انظر، كنت الممثل الأعلى الذي استأنف اجتماعات مجلس الشراكة مع إسرائيل، والتي كانت معلقة لسنوات عديدة. وقد تقرر تعليقها عندما لم أصل بعد إلى بروكسل، بسبب خلاف مع الحكومة الإسرائيلية بشأن توسيع المستوطنات في الضفة الغربية. لقد تناولت هذه الموضوعات مرة أخرى، لأنني اعتقدت أن سنوات عديدة من دون التحدث مع بعضنا البعض لن تؤدي إلى أي شيء، وسيكون من الأفضل أن نجلس مرة أخرى ونتحدث مع بعضنا البعض. هذا ما فعلته مع الحكومة قبل نتنياهو.

كنت أيضاً الممثل الأعلى الذي دعا وزير خارجية الحكومة الإسرائيلية الحالية للحضور إلى مجلس الشؤون الخارجية لتوضيح موقف حكومته. يجب أن أقول إن التفسير لم يكن مستنيراً بشكل خاص، لكننا أخذنا زمام المبادرة للقيام بذلك.

قبل اندلاع السابع من أكتوبر، أتذكر أن الجميع قالوا، "لم يكن الشرق الأوسط سلمياً وهادئاً إلى هذا الحد من قبل". استخدم وزير الأمن الداخلي الأمريكي هذه الكلمات قبل أسبوعين من انفجار السابع من أكتوبر: "لم يكن الشرق الأوسط هادئاً إلى هذا الحد من قبل. لماذا تقلق؟".

"بموجب اتفاقيات إبراهيم، نصنع السلام بين إسرائيل والدول العربية". نعم، ولكن ليس مع الفلسطينيين. وكأن هذه المشكلة يمكن تجسيدها وإنكار وجودها. وكأن صنع السلام مع الجيران يعني أيضاً صنع السلام مع أولئك الذين يعيشون داخل الحدود - في الأراضي المحتلة، محتلة بشكل غير قانوني، بالمناسبة.

ألا يمكننا على الأقل الاعتراف بهذا، أم أن هذا يستحق أيضاً وصف معاداة السامية؟ لقول ما تقوله جميع قرارات الأمم المتحدة. هذا أيضاً جزء من المشكلة، سيداتي وسادتي.

والأمر الأكثر أهمية هو أن أحدهم قال هنا إننا نغذي خزائن حماس بالأموال الأوروبية. لقد كان هذا أنت، السيد [جوردان] باردديلا، وآخرون. وآمل أن يكون لديك دليل على هذا التصريح، لأن

السياسة لا تتلخص في التشهير. إنها تتعلق بالجدال. إذا كان لديك أدنى دليل على أن الأموال الأوروبية تغذي خزائن حماس، فأنا، بصفتي نائب رئيس المفوضية الأوروبية، أطالبك بتقديمه، وإذا لم تقدمه، أطالبك بسحب كلماتك. نعم، السيد بارديلا، إن السياسة لا تتألف من الإهانة والقذف. أتمنى أن تحضره غداً، لأننا في المفوضية الأوروبية، بمجرد وقوع الهجمات الإرهابية، اتخذنا قراراً بالتحقيق في أين تذهب الأموال الأوروبية، وتم تكليفنا بإجراء عمليات تدقيق، وقد درسنا ذلك لعدة أشهر، بمبادرة من المفوض المسؤول عن العلاقات مع إسرائيل والسلطة الفلسطينية، وبعد أشهر من التحقيق، كانت التقارير التي تلقيناها تفيد بعدم وجود أي أثر لهذه الأموال الأوروبية تذهب إلى حماس.

لا بد أن المدققين أكثر غباءً منك، يا سيد بارديلا. لا بد أن لديهم معلومات أقل، أو ربما هم أقل خفة في الحركة. لذا، تعال، أحضر لي الأدلة غداً. تعال، سوف تحضرها، أليس كذلك؟ نعم، نعم، نعم، نعم، سأنتظرك غداً، أنتظرك غداً، يا سيد بارديلا، وإذا لم تحضرها، أتوقع منك أيضاً سحب اتهامك.

إلى كل أولئك الذين أطلقوا هذا الاتهام، أطلب منهم ببساطة تقديم الأدلة. لأنه، كما تعلمون، سيكون هناك الكثير للحديث عنه حول من ساعد في تمويل حماس. هناك الكثير مما يمكن الحديث عنه. ولكنكم وجهتم اتهاماً وأطلب منكم إثباته.

وفي كل شيء آخر، بطبيعة الحال، نتفق على إدانة معاداة السامية، وقد قلت ذلك منذ كلماتي الأولى. فليس هناك فكرة أكثر انحرافاً وشرافاً في تاريخ البشرية من الزعم بأن الإنسان يستحق الأسوأ، حتى الموت، لأنه ينتمي إلى مجموعة عرقية، أو إلى عرق، أو إلى مجموعة بشرية. ولكن هذا الأمر قد توارثته الأجيال على مدى قرون وقرون. نعم، لقد تعرض الشعب اليهودي لأسوأ أنواع الاضطهاد. ولكن إسرائيل دولة ديمقراطية. ولا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نتوقع من دولة ديمقراطية أن تتصرف مثل منظمة وصفناها بالمنظمة الإرهابية: حماس والجناح العسكري لحزب الله.

والحقيقة، أيها السيدات والسادة، أنني لا أستطيع إلا أن أكرر نفس الشيء: يتعين علينا أن نفتح باب الأمل من أجل بناء السلام. "أول شيء يجب القيام به هو وقف إطلاق النار، في جميع أنحاء المنطقة وعلى جميع الجبهات في المنطقة، من أجل إطلاق سراح الرهائن، الرهائن، وزيادة المساعدات الإنسانية بشكل كبير، بما في ذلك إلى لبنان. سنتحدث عن لبنان غداً، ولكن الآن هو الوقت المناسب لحل العملية السياسية في لبنان وتنظيم هذا المؤتمر الإنساني الذي دعا إليه الرئيس ماكرون. لقد حان الوقت للبدء بوقف إطلاق النار ثم البحث عن حل سياسي، والذي كما قلت من قبل - ولم يقدم أحد حلاً آخر - لا يمكن أن يقوم إلا على تقسيم الأرض التي يقاتل من أجلها هذان الشعبان.

لقد تأسست دولة إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة، واليوم أصبحت الأراضي الفلسطينية مجرد أرخبيل. هل تعلمون ما هو الأرخبيل؟ إنه مجموعة من الجزر. إنها مجموعة من الجزر في وسط

البحر وغير متصلة. إذا أردنا بناء دولة، فالحقيقة هي أننا نواجه مشكلة صغيرة تتمثل في تحديد أراضي هذه الدولة.

لدينا هذه المشكلة والعديد من المشاكل الأخرى، ولكن لم يطرح أحد هنا اليوم أي حل آخر غير معالجة هذه المشكلة، مهما كانت صعبة. وبما أنه ليس من وظيفتي أن أتحدث بل أن أبنى، فسوف نستمر في السعي إلى السلام من خلال إقامة حوار بين الشعوب المتنازعة، من شأنه أن يمكنها من تحقيق الاعتراف المتبادل. إلى هذا أدعوكم، سيداتي وسادتي.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbeirut@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه الوثائق أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/>